ذلك ما ورد فى شعر عبيد بن الأبرص شاعر بنى أسد الذى كان معاصراً لهذه الأحداث وشاهداً لها ، والذى كان داعية من دعاة الثورة على حكم كندة لبلاده حيث يقول مخاطبا امرأ القيس ، ومعيراً له بفراره من المعركة :

وركضك لولاه لقيت الذى لقوا فذاك الذى أنجاك مما هنالكا

فهو يعيره بفراره من القتال بعد قتل أبيه وقومه ، وأن هذا الفرار هو الذى أنجاه من أن يلقى نفس المصير .

وأيا ماكانت الحقيقة فقد نفض امرؤ القيس يديه من حياة اللهو التى كان يحياها ، وآلى على نفسه أن يثأر لأبيه على ماحرت عليه سنة العرب ، وأن يسترد الملك الذى ضاع من يديه ، وأن يرفع دعائم العرش الذى انهار بمصرع الملك ، وتبدأ مرحلة جديدة من حياته .

وتكثر الأخبار عن هذه المرحلة من حياته ، وترسم الروايات المتعددة عنها صورة توشك أن تكون كاملة لها ، وفى روايته عن الخليل بن أحمد أن رجالاً من بنى أسد قدموا عليه بعد مقتل أبيه فى محاولة لو أد النار التى أوشكت أن تندلع بينهم وبينه فى مهدها قبل أن تستشرى وتنتشر ، وعرضوا عليه إحدى ثلاث : القصاص أو الدية أو النظرة حتى تضع الحوامل فتعقد الرايات وتكون الحرب ، وقال له خطيبهم : « أما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا ، فقدناه إليك يتسعة تذهب مع شفرات حسامك فصدته ، فيقول رجل : امتحن بهلك عزيز قلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ، أو فداء بما يروح من بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداءً رجعت به القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البراء ، وأما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزز وتعقد الخمر فوق الرابات »[1] ، ولكن امرأ القيس لم يكن يطلب الثأر وحده ، وإنما

---

(١) النسعة : الحبل يجعل زماما . والقصدة : العنق . والسخيمة : الحقد ، والنعم : الأبل ، والقضب : السيوف : والأجفان : أغمادها . والإحن : الأحقاد . والأزز : جمع إزار . والخمر : جمع خمار .